

تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية
(دراسة ميدانية)

د. سامر ناجح عبد الله سمارة

د. عبد الرحمن إبراهيم صليح

أ. محمود عبد الكريم مهنا

المخلص

تُعَدُّ حلقات تحفيظ القرآن الكريم من الأنشطة التعليمية المنتشرة في فلسطين، والتي بفضلها خرّجت المئات من حفظة القرآن الكريم منذ بداياتها في الربع الأخير من القرن الماضي إلى هذه اللحظة، والذين أسهموا بشكل فعّال في الحفاظ على الهوية الدينية والمنظومة الأخلاقية للشعب الفلسطيني. فكان لابد من دراسة هذا المشروع التعليمي والوقوف على إيجابياته وتعزيزها، وسلبياته وتجاوزها، إضافة إلى الوقوف على أهم التحديات التي تواجهها؛ سعياً لتذليلها، والوقوف على أهم التحديات التي تواجهها؛ للخروج بجملة من الاقتراحات التي تعين وتساعد على تطويرها والرقى في مسيرتها، وسعياً لتحقيق هدف الدراسة؛ قام الباحثون بدراسة مسحية بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية استخدموا فيها المزاوجة بين المنهجين التاريخي والوصفي من خلال استبانة قام الباحثون بإنشائها وتوزيعها على عينة الدراسة وهم 22 معلماً ومعلمة تم اختيارهم بطريقة العينة العشوائية البسيطة لجمع البيانات المطلوبة للدراسة، كما قام الباحثون بتحليل تلك البيانات تحليلاً نوعياً ذلك أنه الأسلوب الأنسب لمثل هذه الدراسات، وقد خرج الباحثون بجملة من الاقتراحات التي تعين وتساعد على تطويرها والارتقاء بمخرجاتها، وقد احتوت الدراسة على خمسة محاور تجيب على ثلاث أسئلة وهي: البداية، الإنجازات التي حققتها، أهم التحديات التي تواجهها.

ومن أبرز ما توصلت إليه الدراسة: أنّ مراكز وحلقات تحفيظ القرآن الكريم تحتاج إلى تطوير المناهج والطرق، حيث ينحصر التركيز على الطريقة التقليدية، كما تكاد تنعدم استخدام الوسائل التقنية الحديثة في عملية حفظ وتعزيز وتثبيت الحفظ، إضافة إلى قلة التعزيز مما أدى إلى تسرب طلاب حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

مقدمة:

تُعدُّ حلقات القرآن الكريم من المحاضن المهمة في تربية النشء المسلم؛ حيث إنها لا تجعل الملتحق بها مرتبلاً للحروف والكلمات؛ بل تغرس فيه السلوكيات الإيجابية والفكر السليم التي تنعكس آثارها على المجتمع المسلم؛ لتستقيم حياتهم به في جمع جوانبها، وتسعد بها نفوسهم، وتتميّز به إنجازاتهم.

وإنَّ حلقات تحفيظ القرآن الكريم في الوقت الحاضر ليست بدعاً من الفعل؛ بل هي امتداد تاريخي منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يجلس مع أصحابه يُعلِّمهم القرآن الكريم غصّاً طريّاً كما نزل، وتتابع الحلقات من بعده على مر العصور حيث أصبحت مراكز متخصصة لتخريج العلماء المتبحرين في الدين، والدعاة المصلحين⁽¹⁾.

وإنَّ حلقات تحفيظ القرآن الكريم في فلسطين تؤدّي دوراً هاماً، فهي إلى جانب تعليم القرآن الكريم للناشئة حفظاً وتجويداً، فهي تمثل الحواضن التربوية والأخلاقية التي تشكل شبكة الحماية وصمّام الأمان للمجتمع الفلسطيني في ظل الظروف الاستثنائية التي يحياها تحت الاحتلال الصهيوني، لذلك كانت لا بد الاعتناء بها أيّما عناية، والعمل على تطويرها ودعمها بشتى الصور والأشكال.

وبحكم خبرة الباحثين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم لسنوات متفاوتة؛ فقد لاحظوا أن حلقات تحفيظ القرآن الكريم تمارس دورها بصعوبة متفاوتة فيما بينها؛ لذلك رأوا أنّه لا بد من الاطلاع على أسباب هذه الصعوبات والتحديات، والتعرف على المشكلات التي تحول دون تحقيق أهداف هذه الحلقات.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس وهو: ما هو واقع تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات؟

وحتى يجيب الباحثون على هذا السؤال الرئيس، كان لا بد من الإجابة على السؤالين الآتيين:

السؤال الأول: متى كانت بدايات حلقات تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية؟

السؤال الثاني: ما هي أهم التحديات التي تواجه حلقات تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية؟

(1) دور المسجد في التربية، عبد الله أحمد قادري (109).

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على واقع تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، ويمكن صياغة هذه الأهداف من خلال الإجابة على الأسئلة السابقة بالآتي:

1. التعرف على بدايات حلقات تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية.
2. بيان أهم التحدّيات التي تواجه حلقات تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية.

أهمية الدراسة:

هذه الدراسة ليست الأولى في بابها، فقد سبقتها دراسة للباحثة ختام قاسم محمد غرابة⁽²⁾، وهي دراسة نافعة في هذا الموضوع لكنها قديمة 2007م وتحتاج إلى تحديث البيانات، ثم ركزت الدراسة على شمال الضفة الغربية، بينما شملت هذه الدراسة حلقات لتحفيظ القرآن الكريم في الجنوب أيضًا.

وهناك دراسة أخرى للأستاذ ضياء محمد عارف سمور تناولت مسيرة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في مدينتي رام الله والبيرة، وهي دراسة جيدة في بابها لكنها كسابقتها قديمة تحتاج إلى تحديث، وتركز على محافظتين فقط⁽³⁾.

كما أنّ هناك دراسة أخرى قدمت لنيل درجة الماجستير من الطالب أنور شحادة نصار في قطاع غزة، ناقشت الدور التربوي الذي تقوم به حلقات تحفيظ القرآن الكريم وأهم المشاكل التي تواجهها، ولا يخفى أن الرسالة على أهميتها وجديتها في التعامل مع هذه القضية إلا أنها اقتصرَت على قطاع غزة فقط.

ونظرًا لقلة الدراسات في هذا الباب صمم الباحثون على طرق الموضوع من جديد في محاولة منهم للوقوف على آخر التطورات في هذا القسم الحيوي والمهم.

(2) واقع مراكز تحفيظ القرآن الكريم في شمال الضفة، ختام قاسم محمد غرابة، رسالة ماجستير تمت مناقشتها عام 2007 في جامعة القدس.

(3) مسيرة تجويد القرآن وتحفيظه في محافظة رام الله والبيرة، الأستاذ ضياء محمد عارف سمور، مدير تحفيظ القرآن الكريم في دائرة أوقاف رام الله والبيرة، 1424هـ - 2004م.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الورقة البحثية على دراسة مَسَحِيَّةٍ بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، حيث استخدمت فيها المزاوجة بين المنهجين التاريخي والوصفي من خلال استبانة قام الباحثون بإنشائها وتوزيعها على عَيِّنَةِ الدِّراسة وهم 22 معلِّم ومُعَلِّمة تمَّ اختيارهم بطريقة العَيِّنَةِ العشوائية البسيطة لجمع البيانات المطلوبة للدراسة، كما قام الباحثون بتحليل تلك البيانات تحليلاً نوعياً ذلك أنَّه الأسلوب الأنسب لمثل هذه الدِّراسات.

المبحث الأول: الإطار النظري: نشأة مراكز تحفيظ الكريم في الضفة الغربية.

لقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه الكريم فقال سبحانه وتعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (الحجر: 9)، ومن مظاهر حفظ القرآن الكريم حفظه في الصدور، فقد تعاوده الملايين من أبناء المسلمين على مر العصور حتى يومنا هذا، وظهرت في سبيل ذلك المعاهد والمدارس والكتاتيب، وتخرَّج منها حفظة القرآن الكريم الذين علماء هذه الأمة، وشأن فلسطين كغيرها من البلاد الإسلامية خرَّجت الآلاف من حفظة القرآن الكريم، وفي هذه المبحث سيورد الباحثون الخلفية التاريخية للنشأة الأولى للحواضن القرآنية والتي انتهجت نهجا منظما في تحفيظ القرآن الكريم وفُقَّ خطط معدة سلفاً توصل إلى تخريج حفظة لكتاب الله تعالى ضمن مدة زمنية محددة.

أولاً: الجهود الحكومية:

تعود نشأة الحواضن القرآنية في الضفة الغربية إلى أواخر القرن الماضي، حيث تعددت الجهات الراعية لحلقات تحفيظ القرآن الكريم ما بين حكومية وأهلية، فكانت مديريات الأوقاف الإسلامية في المحافظات الراعي الأول لإنشاء حلقات تحفيظ القرآن الكريم:

وكان الترتيب الزمني لإنشاء الحلقات على النحو الآتي:

الرقم	المدينة	العام
1.	الخليل	1973م
2.	قلقيلية	1980م
3.	نابلس	1982م
4.	طولكرم	1987م
5.	سلفيت	1991م

6.	رام الله والبيرة	1996م
7.	جنين	1996م

ثانياً: الجهود الأهلية:

وكان للجان الزكاة والجمعيات الخيرية أيضاً دور فاعل أيضاً في انتشار حلقات القرآن الكريم في الضفة الغربية ودعم الجهد الحكومي المتمثل في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فساهمت في توسيع نظام حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وكانت البدايات على النحو الآتي:

الرقم	المدينة	العام
1.	الخليل	1984م
2.	نابلس	1987م
3.	طولكرم	1988م
4.	جنين	1989م
5.	رام الله والبيرة	1996م
6.	قلقيلية	2004م
7.	سلفيت	2006م

المبحث الثاني: الإطار الميداني: التَّحْدِيات التي تواجه حلقات تحفيظ القرآن الكريم في الضفة الغربية.

اعتمد الباحثون في هذه الدراسة على المزاوجة بين الدراسة المكتبية والدراسة الاستقصائية؛ للإجابة عن أسئلة الدراسة، فقد قام الباحثون بجمع المعلومات التاريخية من مراجعها المتاحة، إضافة إلى مقابلة بعض القائمين على هذه الحلقات سعياً للإجابة عن السؤال الأول.

وللإجابة عن السؤال الثاني المتعلق بالتحديات التي تواجه حلقات تحفيظ القرآن في الضفة الغربية فقد قام الباحثون بعمل استبانة وتوزيعها على عينة الدراسة (22 محفظاً ومُحَفِّظَةً) في المحافظات المدروسة.

وقد قام الباحثون بتحليل استجابات عينة الدراسة تحليلًا كميًا وصفيًا، كما قاموا بعرضه على باحث محايد للتأكد من دقة تفريغ استجابات عينة الدراسة، وبعد الانتهاء من تحليل النتائج، قام الباحثون بكتابة التقرير النهائي للدراسة والتوصيات المنبثقة عنها.

نتائج الدراسة:

في إطار الإجابة عن السؤال الأول أظهرت الدراسة أنَّ أول ظهور فعلي لحلقات التحفيظ بشكل منظم سواء كان تحت جهة حكومية متمثلة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أو جهة أهلية كان في مدينة الخليل عامي 1973م⁽⁴⁾ و 1984م⁽⁵⁾ ثم توسَّع نظام حلقات تحفيظ القرآن لينتقل بعد مرور سبع سنوات إلى محافظة قلقيلية عام 1980م، ثم تواترت عملية التوسُّع في هذا النظام بسنتينحتى وصلت إلى محافظات نابلس، طولكرم، سلفيت، ثم اشتهر هذا النظام فظهر في محافظات جنين ورام الله والبيرة دفعة واحدة عام 1996م⁽⁶⁾.

وبالرغم من توسع نظام الحلقات وانتشار المراكز القرآنية في المحافظات إلا أن محافظة الخليل بقيت محافظة على أسبقيتها في النشأة والتعداد؛ بل تجاوز الأمر إلى انتقال أثر المحفِّظين من الخليل الذين سكنوا في محافظات أخرى⁽⁷⁾.

كما أظهرت الدراسة جانبًا من الجهود الأهلية التي كان لها الأثر الواضح في دعم الجهد الحكومي مثل لجان الزكاة المنتشرة في المحافظات، مثل لجنة زكاة نابلس حيث تعد من أكثر لجان الزكاة في محافظات الضفة الغربية نشاطًا في توسيع نظام حلقات تحفيظ القرآن الكريم، فقد أظهرت الدراسة أن عدد المنتظمين في حلقات تحفيظ القرآن الكريم التابعة للجنة زكاة نابلس أكثر من 1200 طالب منتظمين في 52 مركزاً⁽⁸⁾، وانفردت كذلك أيضا بإنشاء أول مدرسة تُعنى بتحفيظ القرآن الكريم كاملاً بجانب تعليم مناهج وزارة التربية والتعليم.

(4) تم التواصل مع مشرف دور القرآن الكريم في مديرية أوقاف الخليل الشيخ أكرم أبو رميلة واستقاء هذه المعلومة منه بتاريخ 27-2-2019..

(5) موقع الجمعية الخيرية الإسلامية: <http://www.ics-hebron.org/portal/index.php/marakez>

(6) واقع مراكز تحفيظ القرآن الكريم في شمال الضفة، ختام قاسم محمد غرابية، رسالة ماجستير تمت مناقشتها عام 2007 في جامعة القدس.

(7) مسيرة تجويد القرآن وتحفيظه في محافظة رام الله والبيرة، ضياء محمد عارف سمور (52، 53) 2004م.

(8) تمت إجراء مقابلة عبر الهاتف مع مدير لجنة تحفيظ القرآن الكريم الشيخ مصطفى الكوني بتاريخ 28-2-2019.

وقد أجابت الدراسة على السؤال الثاني من خلال الاستبانة التي تم توزيعها على عينة الدراسة وهو في مجال التحديات التي تواجه نظام الحلقات، وقد قام الباحثون بتقسيم التحديات التي تواجه نظام الحلقات إلى ثلاث محاور: المحور المادي، المحور اللوجستي، المحور التأهيلي.

أولاً: المحور المادي:

أظهرت نتائج الدراسة ضعفًا في الارتقاء بمستوى نظام الحلقات وذلك بسبب ضعف الدعم المادي الذي يُعد الركن الأساسي في تعزيز عملية التحفيز سواء كان على صورة مكافآت المحفظين، أو الجوائز للطلبة، وبعض الاحتياجات الجانبية.

ثانيًا: المحور اللوجستي:

أظهرت الدراسة افتقار ما نسبته 60% من المراكز المدروسة للأثاث الأساسي للمركز، مثل: مقاعد الطلاب، السجاد، علاوة على عدم وجود أماكن مخصصة لتحفيز القرآن الكريم وتظهر هذه المشكلة جلية في قسم النساء. إضافة إلى الفقر الظاهر في الوسائل التعليمية التي تساعد على حفظ القرآن الكريم حيث يسبب ذلك نفور الطلاب من حلقات التحفيز.

ثالثًا: المحور التأهيلي.

أظهرت الدراسة أن 90% من المحفظين (عينة الدراسة) غير مؤهلين تأهيلاً كافياً لتحفيز الطلبة، ولم يتم تدريبهم على الطرق الحديثة لتحفيز القرآن الكريم، مما أدى إلى ضعف مخرجات نظام الحلقات.

مناقشة نتائج الدراسة:

يعزو الباحثون التقدم الظاهر في محافظتي الخليل ونابلس إلى وفرة طلاب العلم الشرعي والمهتمين به، ويُرجع الباحثون هذا التَّميَّز إلى وجود كليتي الشريعة في جامعة الخليل وجامعة النجاح الوطنية، حيث أنها تستقطب الطلاب والمهتمين من جميع مناطق فلسطين للدراسة ويكون التحفيز جزءاً من انخراطهم في الحياة المجتمعية.

أما بالنسبة للتأخر الجزئي الذي ظهر في محافظتي رام الله والبيرة فيعزوه الباحثون إلى قلة المؤهلين في مجال تحفيز القرآن الكريم وإدارة الحلقات.

وقد استند الباحثون في هذا على وجود بعض المؤهلين المنتقلين من مناطق أخرى حيث ظهر بوجودهم تميَّزًا ثم خفت بغياهم.

بالرغم من أن محافظة طولكرم شاركت محافظتي رام الله والبيرة في الضعف إلا أن سبب الضعف في طولكرم كان مختلفاً، حيث كان السبب في تدني المخرجات إلى الضعف في البنية التحتية للمراكز؛ فقد كان معظمها ملاحق للمساجد تفتقر إلى الأثاث الأساسي، إضافة إلى ضعف تأهيل المحفظين.

وبناء على هذه النتائج قام الباحثون بكتابة توصيات هذه الدراسة وتقريرها النهائي.

توصيات الدراسة:

1. يوصي الباحثون بضرورة تفعيل نظام التحفيز الحوافر المادية الخاص بمعلمي ومعلمات القرآن الكريم حيث أظهرت نتائج الاستبيان أن 70% منهم متطوعون في تعليمهم للقرآن الكريم ولا يتقاضون أيّة مكافأة في مقابل ذلك، مما أدى إلى تكرار غياب الأساتذة عن الحلقات.
2. يوصي الباحثون بأهمية توفير الوسائل التشجيعية لطلبة حلقات تحفيظ القرآن الكريم، فقد أظهرت الاستبانة أن انعدام نظام الحوافز أدى إلى تسرب وتغيّب الطلاب في 50% من العينة المستهدفة.
3. يعتقد الباحثون بالحاجة الماسة إلى توفير الأثاث الأساسي الخاص بالمراكز مثل السجاد، وثلاجات الماء، وكراسي الطلاب، لتوفير البيئة المناسبة لتعليم القرآن الكريم، وعكس ذلك يؤدي إلى نفور الطلاب وتسربهم من الحلقات.
- كما يوصي الباحثون بأهمية تخصيص أماكن لتحفيظ القرآن الكريم والقيام بالأنشطة المتعلقة به، وخاصة للنساء.
4. يرى الباحثون أنه لا بد من مواكبة التطورات العلمية فيما يتعلق بوسائل وأساليب التدريس سواء كانت نظريات أو معدات، إذ أن 95% من الطرق والوسائل المتبعة في الحلقات القرآنية المستهدفة في البحث ما زالت تتبع المناهج التقليدية القديمة؛ لذلك فإنه يتعين على القائمين على إدارة نظام حلقات الكريم أن يطلعوا على التجارب المشابهة في دول العالم الإسلامي مثل ماليزيا، والاستفادة منها في اكتساب الطرق والوسائل الحديثة المستعملة في تحفيظ القرآن الكريم.

5. يؤكد الباحثون على الأهمية البالغة للعناية بالركن المهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم وهو المعلم والمعلمة وذلك من خلال عملية إعادة التأهيل المستمر بعقد ورشات العمل، وإقامة الندوات والمحاضرات التي تطور مهاراتهم وتزيد من كفاءاتهم.

6. يوصي الباحثون بتطوير الخطط المتبعة في تحفيظ القرآن الكريم، ومحاولة توحيد الطلاب في الحلقة الواحدة على خطة واحدة تتناسب والعمر الخاص بهم.

المراجع والمصادر.

1. دور المسجد في التربية، عبد الله أحمد قادري.
2. واقع مراكز تحفيظ القرآن الكريم في شمال الضفة، ختام قاسم محمد غرابية، رسالة ماجستير تمت مناقشتها عام 2007 في جامعة القدس.
3. مسيرة تجويد القرآن وتحفيظه في محافظة رام الله والبيرة، الأستاذ ضياء محمد عارف سمور، مدير تحفيظ القرآن الكريم في دائرة أوقاف رام الله والبيرة، 1424هـ - 2004م.
4. موقع الجمعية الخيرية الإسلامية: <http://www.ics-hebron.org/portal/index.php/marakez>
5. تمت إجراء مقابلة عبر الهاتف مع مدير لجنة تحفيظ القرآن الكريم الشيخ مصطفى الكوني بتاريخ 2019-2-28.
6. تم التواصل مع مشرف دور القرآن الكريم عبر الماسنجر في مديرية أوقاف الخليل الشيخ أكرم أبو رميلة واستقاء هذه المعلومة منه بتاريخ 2019-2-27.